المكتبة الخضراء للأطفال

الليمون العجيب

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة



دار المعارف

عَاشَ فِي الْأَزْمِنَةِ الْقَدِيمَة، مَلِكٌ لَمْ يُرْزَقْ إِلَّا بِوَلَدٍ واحِد، كانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا ، وَكانَ هٰذا الاِبْنُ هُوَ الْأَمَلُ الْوَحِيدُ لِأُسْرَةٍ تَـكادُ تنقَرِض ، وَكانَ هَمُّ أبِيهِ الْأَوْحَد ، أَنْ يُزَوِّجَهُ وَيَخْتارَ لَهُ عَرُوسًا نَبِيلَةً غَنِيَّـةً جَمِيلَة ، رَقِيقَةَ الْحاشِيَةِ طَيِّبَةَ الْقَلْب ، فَما كانَ يَحْلُمُ فِي أَثْناء مَنـامِه ، إِلَّا بِأَنَّهُ أَصْبَحَ جَدًّا ، يَحِفُّ حَوالَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْأَبْناءِ الصِّغَار ، وَيَطْبَعُ عَلَى خُدُودِهِمْ قُبُلاتِهِ الْحارَّة .

وَلَقَدْ كانَ هٰذا الاِبْن : يَتَحَلَّى بِفَضائِلَ كَثِيرَة ، وَلٰـكِنَّهُ كانَ إِذا فُوتِـحَ بِأَمْرِ الزَّوَاج، جَمَحَ كالْفَرَسِ الْمُتَوَحِّشَة، وَهَرَبَ إِلَى الْغَابَات ، وَتَرَكَ وَالِدَهُ فِي حُزْنٍ ما بَعْدَهُ حُزْن، وَكَثِيرًا ما بَذَلَ لَهُ النُّصْحَ نُخْبَةٌ مِنْ رِجَالاتِ الدَّوْلَة، فَمـا أَثَّرَتْ فِيهِ بَلاغَتُهُم ، وَلا رَجَعَتْهُ دُمُوعُ أَبِيه عَنْ عِنادِه .

واتَّفَقَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ كانَ الْأَمِيرُ يَتَناوَلُ طَعَامَ الْإِفْطَار ،



وَأَبُوهُ يَكِيلُ لَهُ الْعِظَةَ بَعْدَ الْأُخْرَى، والْأَمِيرُ مَشْغُولٌ عَنْها بِرُؤْيَةِ الذُّبابِ يَتَطايَرُ مِنْ حَوْلِه، فَنَسِىَ أَنَّهُ يَحْمِلُ سِكِّيناً فِى يَدِه، وأَتَى بِحَرَكَةٍ تَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الصَّبْر، فَجَرَحَ إِصْبَعاً مِنْ أَصابِعِه، وَتَدَفَّقَ مِنْها الدَّمُ واسْتَقَرَّ فِى صَحْنٍ مِنَ الْقِشْدَةِ كانَ أَمامَه، فَذَهِلَ مِنْ ذٰلِكَ الْخَلِيطِ الْوَرْدِىِّ الَّذِى نَشَأَ مِنْ لَوْنِ الدَّمِ وَلَوْنِ الْقِشْدَة، واهْتَزَّتْ نَفْسُه، وَتَغَيَّرَ تَفْكِيرُهُ

فَجْأَة ، وَقالَ يُخاطِبُ والِدَه :

— « مَوْلاى ! إِنْ لَمْ أجِدْ فِى الْقَرِيبِ الْعاجِل ، عَرُوسًا فِى لَوْنِ هٰذِهِ الْقِشْدَةِ الْمَمْزوجَةِ بِدَمى ، فَإِنّى رَجُلٌ هالِكٌ لا مَحالَة ، فَهٰذِهِ الْعَرُوسُ الْفَتّانَة ، لا بُدَّ أنْ تَكُونَ فِى مَكانٍ مِنَ الْأَمْكِنَة . . ، فَأَنا أُحِبُّها ، بَلْ أُذُوبُ بِها غَرامًا ، وَلا شَىْءَ مُسْتَحِيلٌ فِى الْحَياةِ عَلَى الْقَلْبِ الْحازِم ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَحْيا ، فَاسْمَحْ لِى أَنْ أَجُوبَ الْبِلادَ لِأَعْثُرَ عَلَى فَتاةِ أَحْلامِى ، وَإِلاَّ هَلَكْتُ مُنْذُ غَدٍ فَرِيسَةً لِلرَّغْبَةِ وَالْحُزْنِ وَالضَّجَر » .

حَدّثْ وَلا عَجَبَ عَنْ أَثَرِ هٰذِهِ الْكَلِماتِ الْمَجْنُونَةِ فِى قَلْبِ الْمَلِك ، فَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ قَصْرَهُ قَدْ تَهَدَّمَ عَلَى رَأْسِه ، فَاصْفَرَّ واحْمَرّ ، وَتَمْتَمَ وَبَكَى ، وَعادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ فِى نِهايَةِ الْأَمْر ، وَقالَ يُجِيبُ عَنْ كَلامِ ابْنِه :

— « يا وَلَدِى ، وَيا عَصا شَيْخُوخَتِى ، وَدَمَ قَلْبِى ! أَىُّ فِكْرٍ

غَرِيبٍ جالَ فِى خاطِرِكَ؟ هَلْ فَقَدْتَ رُشْدَكَ؟ بِالأَمْسِ جَعَلْتَنِى أَمُوتُ غَمًّا، حِينَ رَفَضْتَ أَنْ تَتَزَوَّجَ وَتُقِرَّ عَيْنِى بِأَبْناءٍ تَرِثُنِى، وَالْيَوْمَ تَوَدُّ أَنْ تَقْضِىَ عَلَىَّ إِذْ أَرَاكَ تَعْتَنِقُ الأَوْهَام، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّها الْغَبِىّ؟ وَلِماذا تَتْرُكُ مَنْزِلَكَ وَمَهْدَكَ وَمَوْطِنَكَ؟ أَتَعْرِفُ الأَخْطَارَ والْمَصَاعِبَ الَّتِى تَتَعَرَّضُ لَها فِى سَفَرِكَ؟ فانْفِ عَنْكَ هٰذِهِ الأَهْواءَ الْخَطِرَة، وابْقَ مَعِى يا وَلَدِى إِذا شِئْتَ أَلَّا تَنْتَزِعَ مِنِّى الْحَيَاة، وَتَهْدِمَ بِضَرْبَةٍ واحِدَةٍ عَرْشَكَ وَبَيْتَكَ!»

ذَهَبَتْ هٰذِهِ الْكَلِماتُ وَغَيْرُها ضَيَاعًا، وَبَقِىَ الأَمِيرُ عَبُوسَ الْوَجْه، مُقَطَّبَ الْجَبِين، لا يَرَى إِلَّا الرَّأْىَ الَّذِى يُرْضِيه، حَتَّى إِذا تَعِبَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مِنْ سَكْبِ الدُّمُوعِ وَبَذْلِ الرَّجاء، تَنَهَّدَ تَنَهُّدَةً طَوِيلَة، وَقَرَّرَ أَنْ يَأْذَنَ لِابْنِهِ فِى السَّفَر، فَزَوَّدَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ نَصَائِحَ أَصَمَّ أُذُنَيْهِ عَنْها، وَبِأَكْياسٍ مِنَ النُّقُودِ



رَحَّبَ بِها أكْثَرَ مِنْ تَرْحِيبِهِ بِنَصائِحِ أَبِيهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ خادِمَيْنِ أمينَيْن ، وَضَمَّ هٰذَا الابْنَ الْعَاقَّ إِلَى صَدْرِهِ مُوَدِّعًا ، وَصَعِد ، وَقَلْبُهُ يَتَقَصَّفُ حُزْنًا ، إِلَى أعْلَى بُرْجٍ مِنْ أبْراجِ الْقَصْر، لِيُتْبِعَ ابْنَهُ بِأَنْظارِهِ أطْوَلَ مُدَّةٍ مُمْكِنَة .

فَلَمّا غابَ الأَمِيرُ وَراءَ الأُفُق ، ظَنَّ الْمَلِكُ الْمِسْكِينُ أَنَّ حُشاشَتَهُ هِيَ الَّتِي غابَتْ عَنْ ناظِرَيْه ، فاعْتَمَدَ رَأْسَهُ بِكَفَّيْهِ وَأَجْهَشَ بِالْبُكاء ، لا بُكاءَ طِفْلٍ مِنَ الأَطْفَال ، بَلْ بُكاءَ والِدٍ عَلَى وَلَدِه . . . إِنَّ دُمُوعَ الطِّفْلِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الصَّيْف ، يَنْهَمِرُ قَطَراتٍ كَبِيرَةً وَلٰكِنْ لا تُبَلِّل ، فِي حِينِ أَنَّ دُمُوعَ الْوالِدِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الْخَرِيف ، يَنْهَمِرُ فِي هُدُوء وَلٰكِنَّهُ لا يَجِفّ .

حِينَما كانَ الْمَلِكُ مَهْمُومًا مَغْمُومًا ، كانَ ابْنُهُ الأَمِيرُ راكِبًا صَهْوَةَ جَوادٍ أَصِيل ، وَقَدْ هَمَّ أَنْ يَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَقاصِي الْبِلادِ



بَحْثًا عَنْ ضَالَّتِهِ .

وَبَدَأَ صَاحِبُنَا يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَد ، وَيَزُورُ الْمُدُنَ والْقُرَى

والْقُصُورَ والْأَكْوَاخ ، يُحَدِّقُ فِيها إِلَى وُجُوهِ النِّساء ، وَيُحَدِّقْنَ إِلَيْه ،فَما أَجْدَى بَحْثُهُ وَلا عَثَرَ عَلَى الْكَنْزِ الَّذِى يَحْلُمُ بِه.

وَبَقِىَ عَلَى هٰذا النَّحْوِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كامِلَة ، قَرَّرَ بَعْدَها أَنْ يُسَافِرَ إِلَى بِلادِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى ، فَرَكِبَ مِنْ أَحَدِ الْمَوانِئِ الْأُورُبِيَّة ، سَفِينَةً صَغِيرَةً أَخَذَتْ تَمْخُرُ بِهِ عُبابَ الْماء ، وَتُواجِهُ جِبالَ الْأَمْواجِ الَّتِى كانَتْ تَعْتَرِضُ مَسِيرَها . أَمَّا الْخادِمَانِ فَلَمْ يَسْتَطِيعا أَنْ يُرافِقاهُ فِى تِلْكَ الرِّحْلَة ، فَقَدْ كانَ كُلٌّ مِنْهُما طَرِيحَ الْفِراشِ يُعانِى تَبارِيحَ الْحُمَّى.

وَمَرَّ الْأَمِيرُ فِى طَرِيقِهِ عَلَى مِصْرَ والْهِنْدِ والصِّين ، فَزارَ الْأَقالِيمَ والْأَحْياء ، وَدَخَلَ الْمنازِلَ والْأَكْواخَ باحِثًا عَنْ أَصْلِ ذٰلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ الَّذِى ارْتَسَمَ فِى مُخَيَّلَتِه ، فَرَأَى فَتَياتٍ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَجِنْس ، بَيْنَهُنَّ الشَّقْراءُ والسَّمْراءُ والْحَمْراءُ والصَّفْراءُ والسَّوْداء ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُنَّ مَحْبُوبَتَه .

وَمَا زَالَ يَجِدُّ فِى أَثَرِ الْحَبِيب ، يَتَقَصَّاهُ فِى الْمُدُنِ والْقُرَى ، فِى الْجِبالِ والسُّهُول ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أقْصَى الْمَعْمُور، وَوَاجَهَ الْبَحْرَ والسَّماء ، وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِيَأْسٍ قَاتِلٍ بَعْدَ إِذْ خَابَ فِى تَحْقِيقِ حُلْمِه .

وَبيْنَما كانَ يَمْشِى عَلَى الشَّاطِئِ فِى خُطَى وَاسِعَة ، لَمَحَ شَيْخًا يَتَدَفَّأُ بِأَشِعَّةِ الشَّمْس ، فَدَنا مِنْهُ وَسَأَلَهُ قائِلا :



— « هَلْ هُناكَ يا سَيِّدِى شَىْءٌ وَراءَ هٰذِهِ الْأَمْواجِ الْمُتوارِيَةِ وَراءَ الأُفُق ؟

فَقالَ لَهُ الشَّيْخ :

— « كَلاَّ أَيُّها الشَّابّ ، فمَا مِنْ أَحَدٍ قَدْ عَثَرَ عَلَى شَىْءٍ فِى هٰذا الْبَحْرِ الْخَالِى مِنَ الْجُزُرِ والشَّواطِىءِ ، وَلا مِنْ مُغامِرٍ رَجَعَ بَعْدَ رِحْلَتِهِ إِلَى ما وَراءَ هٰذا الْأُفُق ، وَإِنّى لَأَذْكُرُ عِنْدَما كُنْتُ صَبِيًّا ، أَنْ سَمِعْتُ شُيُوخَنا يَقولُونَ إِنَّ وَراءَ هٰذا الْأُفُق ، جَزِيرَةً تَسْكُنُها الْجِنِّياتُ الشِّرِّيرَات ، والْوَيْلُ لِلأَحْمَقِ الَّذِى يَقْتَرِبُ مِنْهُنّ ، إِنَّ مَنْظَرَهُنَّ يَبْعَثُ عَلَى الْمَوْت » .

فَصاحَ الْأَمِير :

— « إِنِّى لَأَقْتَحِمُ الْجَحِيمَ فِى سَبِيلِ أَنْ أُحَقِّقَ حُلْمِى ! »

وَكانَ هُناكَ زَوْرَقٌ صَغِير ، فَقَفَزَ الْأَمِيرُ إِلَيْه ، وَأَرْخَى الشِّرَاع ، وَدَفَعَتِ الرِّيحُ الزَّوْرَقَ فَسارَ فِى عُرْضِ الْبَحْر ، وابْتَعَدَتِ

الأَرْضُ بعْدَ قَلِيلٍ مِنْ نظَرِ الأَمِير ، وَأَلْفَى نَفْسَهُ فِى وَسْطِ الأَمْوَاجِ ، يُحِيطُ بِهِ الْبَحْرُ مِنَ الْجِهاتِ الأَرْبَعِ ، وَبَقِى يَسِير عَلَى غَيْرِ هُدًى فِى ذٰلِكَ الْمُحِيطِ، حَتَّى صَاحَ فَجْأَةً صَيْحَةَ الْفَرَحِ



وَالاِسْتِبْشَار، وَكانَ قَدْ لَمحَ عَلَى الْبُعْدِ نُقْطَةً سَوْدَاء ، فما هِيَ إِلَّا فَتْرَةٌ وَجِيزَةٌ، حَتَّى حَملَتِ الرِّيحُ الزَّوْرَقَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَة ، وَنَزَلَ الأَمِيرُ بِشاطِئٍ لَمْ يَعُدْ مِنْهُ إِنْسانٌ حَتَّى ذٰلِكَ الْحِين ، وَيَقُومُ عِنْدَ سَفْحِ صُخُورٍ عالِيَةٍ ذاهِبَةٍ فِي الْفَضاء ، وَقَدْ مَزَّقَ الزَّمَنُ رُؤُوسَها.

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَسَلُّقُ تِلْكَ الصُّخُور. فَلا دُرُوبَ فِيها وَلا طَرِيق ، وَحاوَلَ الأَمِيرُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يُصَعِّدَ فِيها ، فَوَصَلَ بَعْدَ حِينٍ إِلَى مُنْبَسِطٍ مِنَ الْجِبالِ وَهُوَ دَامِي الْيَدَيْن ، يَلْهَثُ مِنَ التَّعَب ، فَوَجَدَ فِيهِ قِطَعًا مِنَ الْجَلِيد ، وَصُخُورًا سُودًا نَاتِئَةً مِنْ وَسَطِ الثُّلُوج ، فَلَا شَجَرَةَ هُناكَ وَلا عُودَ عُشْب ، وَإِنَّمَا كانَتْ هُنَاكَ صُورَةُ الشِّتاء والْمَوْت .

وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ فِي ذٰلِكَ الْقَفْرِ الْمُوحِش، عَلَى حَيٍّ مِنَ الأَحْياء ، وَلا عَلَى مَسْكَنٍ مِنَ الْمَسَاكِنِ سِوَى كُوخٍ حَقِير ، كانَ سَقْفُهُ

الْخَشَبِيُّ مُحَمَّلاً بِحِجارَةٍ ضَخْمَةٍ يَسْتَطِيعُ بِها مُقاوَمَةَ هُوجِ الرِّياح ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ الأَمِيرُ مِنْ ذٰلِكَ الْكُوخ ، رَأَى مَشْهَدًا عَجَبًا لَبِثَ بَعْدَهُ ذاهِلًا صامِتًا مِنَ الْخَوْفِ والدَّهْشَة .

كانَ فِي صَدْرِ الْكُوخِ لَوْحٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّسِيج ، رُسِمَتْ فِيهِ طَبقَاتُ النَّاسِ جَمْعاء ، فَمِنْ صُوَرٍ لِلْمُلُوكِ والْجُنود ، والْفَلّاحِينَ والرُّعاة ، إلَى صُوَرٍ لِنِساءٍ يَرْتَدِينَ أَفْخَرَ الْمَلابِس ، إِلَى أُخْرَى لِفَلّاحَاتٍ يَغْزِلْنَ الصُّوف ، وَفِي مُقَدّمَةِ اللَّوْحِ صِبْيَةٌ وَصَبايا يَرْقُصُونَ وَيَمْرَحُون ، وَكانَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ ذٰلِكَ اللَّوْح ، سَيّدَةٌ عَجُوزٌ بارِزَةُ الْعِظَام ، صَفْراءُ الْبَشَرَة كَأَنَّها الْمَوْتُ فِي أَبْشَعِ صُوَرِه ، وَقَدِ اعْتَمَدَتْ فِي كَفِّها مِقَصًّا طَوِيلا ، تَنْقَضُّ بِهِ عَلَى رُسُومِ ذٰلِكَ اللَّوْح ، كُلَّما غاظَها مِنْه رَسْم ، انْقِضاضَ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى فَرِيسَتِها ، وَتَقُصُّهُ طُولاً وَعَرْضًا ، وَعَلَى الأَثَرِ يُسْمَعُ مِنْ وَراءِ اللَّوْح ، صَرَخاتٌ رَهِيبَةٌ تُخِيفُ أَشْجَعَ الْقُلُوب ، فَقَدِ اجْتَمَعَ

فِيها عَوِيلُ الْأَطْفال ، وَنَحِيبُ الْأُمَّهات ، وَشَهِيقُ الشُّيُوخ ، كَأَنَّما تَجَمَّعَ فِي ذٰلِكَ الزَّفِير كُلُّ أَنْواعِ عَذابِ الْإِنْسان ، فَتُقَهْقِهُ لَهُ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ ضاحِكَة ، وَيُضِيءُ وَجْهُهَا الْبَشِعُ بِنُورٍ فَرِحٍ مُتَوَحِّش ، فِي حِينِ تَكُونُ هُناكَ يَدٌ خَفِيَّةٌ تُصْلِحُ ما فَسَدَ مِنْ ذٰلِكَ اللَّوْحِ الدَّائِمِ التَّمْزِيق ، الدَّائِمِ الْإِصْلاح .

كانَتْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَةُ الشَّنْعاءُ قَدْ فَتَحَتْ مِقَصَّها ! وَكادَتْ تَهْوِي بِهِ عَلَى اللَّوْحِ ، فَلَمَّا لَمَحَتْ ظِلَّ الْأَمِير ، صاحَتْ بِهِ قائِلَةً دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَيْه :

— « أُنْجُ بِنَفْسِكَ أَيُّها الشَّقِيّ ، إِنِّي أَعْرِفُ ما الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هُنا ، وَلٰكِنَّنِي لا أَسْتَطِيعُ مُعاوَنَتَكَ عَلَيْه ، فاذْهَبْ إِلَى شَقِيقَتِي ، فَلَعَلَّها تُنِيلُكَ ما أَنْتَ راغِبٌ فِيه ، فَهِيَ الْحَياةُ وَأَنا الْمَوْت ! »

فَلَمْ يَكَدْ صاحِبُنا الْمُغامِرُ يَسْمَعُ هٰذا الْكَلام ؛ حَتَّى أَطْلَقَ



فایزه

سَاقَيْهِ لِلرِّيح ، سَعِيدًا بِالْفِرارِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَنْظَرِ الْفَظِيعِ ، ثُمَّ قادَهُ الْمَطافُ إِلَى وادٍ أَخْضَرَ خَصِيب ، فِيهِ الْعُشْبُ النَّامِى ، والْحَدائِقُ الْمُزْهِرَة ، وَالْكُرُومُ الْمُثْمِرَة ، فَرَأَى فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ التِّين ، الْقائِمَةِ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْر ، سَيِّدَةً ضَرِيرَة ، تُدِيرُ حَوْلَ مِغْزَلِها خُيُوطًا مِنَ الذَّهَبِ والْحَرِير ، وَإِلَى جانِبِها صُفَّتْ مَغازِلُ كَثِيرَة ، دارَتْ عَلَيْها خُيُوطُ الْكَتَّانِ والْقُنَّبِ والصُّوفِ والْحَرِيرِ وَما إِلَى ذٰلِك .

وَلَمَّا انْتَهَتْ هٰذِهِ السَّيِّدَةُ الضَّرِيرَةُ مِنْ عَمَلِها ، مَدَّتْ يَدَها الْمُرْتَجِفَةَ إِلَى مِغْزَلٍ آخَر ، وَبَدَأَتْ بِهِ عَمَلاً جَدِيدًا ، فَحَيَّاها الْأَمِيرُ الْفَتَى تَحِيَّةً جَلِيلَة ، وَحاوَلَ بِصَوْتٍ مُضْطَرِب ، أَنْ يَقُصَّ عَلَيْها قِصَّةَ رِحْلَتِه ، غَيْرَ أَنَّ الْجِنِّيَّةَ اسْتَوْقَفَتْهُ وَقالَت :

— « لا أَقْدِرُ أَنْ أُنِيلَكَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِى تَبْتَغِيها يا وَلَدِى ، فَما أَنا إِلَّا ضَرِيرَةٌ مِسْكِينَةٌ لا أَعْرِفُ أَنا نَفْسِى ماذا

أَعْمَل ، فَهٰذا الْمِغْزَلُ الَّـذِى تناوَلْتُه عَرَضًا ، سَوْفَ يُحَدِّدُ مَصِيرَ كُلِّ مَنْ يُولَدُ فِى هٰذِه السَّاعَة ، وَهٰذا الْخَيْطُ الَّـذِى لا أَرَاهُ تَرْتَبِطُ بِهِ السَّعادَةُ أَوِ الشَّقَـاء ، وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَهُ تَبْديلا فاذْهَبْ إِلَى شَقِيقَتِى الْأُخْرَى ، فَلَعَلَّهَـا تُحَقِّقُ رَغْبَتَك ، فَهِىَ الْمِيلادُ وَأَنا الْحَياة ».

فَقالَ لَها الْفَتى :

— « شُكْرًا لَكِ يا سَيِّدَتى ! »

ثُمَّ هُرِعَ إِلَى لِقاء أَصْغَرِ الْجِنِّيات ، فَرِحَ الْقَلْبِ سَاكِنَ الْجَأْش ، فَوَجَدَها جَمِيلَةً مُشْرِقَةً إِشْراقَ الرَّبِيع ، فَكُلُّ شَىْءٍ مِنْ حَوْلِها يُولَدُ وَيَنْمُو ، فالْقَمْحُ يَشُقُّ الْأَرْضَ وَيَخْرُجُ فِى سَنابِلَ خُضْر ، وَشَجَرُ الْبُرْتُقالِ تَفَتَّحَ فِيهِ الزَّهْر ، وكَذٰلِكَ الْحَالُ فِى بَقِيَّةِ الشَّجَر ، أَمَّا أَفْراخُ الدَّجاج ، (الكتاكيت) وَلَمَّا يَنْبُتْ رِيشُها ، فَتَجْرِى حَوْلَ أُمِّها الْقَلِقَة ، والْحُمْلانُ عاكِفَةٌ

عَلَى ثُدِيّ أُمَّاتِها ، وَكانَ ذٰلِك كُلُّهُ أَوَّلَ بَسْمَةٍ لِلْحَياة .

اِسْتَقْبَلَتِ الْجِنِّيَّةُ الْأَمِيرَ اسْتِقْبالاً حَسَنًا ، وَرَحَّبَتْ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ وَلَمْ تَهْزَأْ بِجُنُونِه ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى تَناوُلِ الْعَشاءِ مَعَها ، وَبَعْدَ الْحَلْوَى ، قَدَّمَتْ لَهُ ثَلاثَ لَيْمُونات ، وَسِكِّينًا جَمِيلَةً ذاتَ مِقْبَضٍ مِنَ الْعاجِ وَالْفِضَّة ، وَقالَتْ لَه :

ــ « يُمْكِنُكَ الْآنَ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَبِيك ، فَقَدْ كَسَبْتَ الدَّعْوَى وَعَثَرْتَ عَلَى ضالَّتِكَ الْمَنْشُودَة ، فَارْحَلْ راجِعًا إِلَى مَمْلَكَتِك ، وَاقْطَعْ لَيْمُونَةً مِنَ اللَّيْمُوناتِ الثَّلاثِ عِنْدَ أَوَّلِ نَبْعٍ تَراهُ فِيها ، وَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْمُونَةِ الْمَقْطُوعَةِ جِنِّيَّةٌ سَتَقُولُ لَك : "اِسْقِنِي" فَقَدِّمْ لَها الْماءَ سَرِيعًا وَإِلَّا تَوارَتْ عَنْكَ فِي الْحال ، وَإِذا غابَتْ عَنْكَ الثَّانِيَة ، فَكُنْ حَذِرًا يَقِظًا مَعَ الثَّالِثَة ، فَاسْقِها تَفُزْ بِعَرُوسٍ كَما يَشْتَهِيها فُؤادُك » .

فَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَمِيرِ فَرْحَةٌ ما بَعْدَها فَرْحَة ، فَقَبَّلَ يَدَ

الْجِنِّيَّةِ عَشْرَ مرَّات ، وَوَدَّعَهـا وَسَارَ عائِدًا إِلَى بلَدِه ، وَمَعَهُ اللَّيْمُونَاتُ الثَّلاث ، وَهُوَ يُحافِظُ عَلَيْها مُحافَظَتَهُ على عَيْنَيْه .



وَبعْدَ جهْدٍ وَمشَقَّـة ، وَصَلَ إِلَى وَطَنِه ، وَحِينَما كانَ عَلَى بُعْدِ ساعَتَيْنِ مِنْ قَصْرِ أَبِيه ، مرَّ بِغابَةٍ كَثِيفَةٍ ، طَالَمَا اسْتَسْلَمَ فِيها إِلَى الصَّيْدِ والْقَنْص ، فَجَلَسَ قُرْبَ عَيْنِ ماء صَاف ، يَسْتَرِيحُ عِنْدَها مِنْ عَناء السَّفَر ، ثُمَّ أَخْرَجَ سِكِّينَهُ وَقَطَعَ بِها إِحْدَى اللَّيْمُونات ، فلاحَتْ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ فَتاةٌ بَيْضاءُ كاللَّبَن ، حَمْراءُ كالْكَرَز ، وَقالَتْ لَه :

« اِسْقِنِي أَيُّها الْأَمِير » .

فَصاحَ الْأَمِيرُ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ مَأْخُوذٌ بِفِتْنَةِ الْفَتاةِ وَجَمالِها .

وَقَدْ نَسِيَ نَصائِحَ الْجِنِّيَّة :

— « رَبَّاهُ ما هٰذا الْجَمال ؟! »



وَفِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ غابَتِ الْفَتاةُ عَنْ عَيْنَيْه ، فَلَطَمَ وَجْهه ، وَكانَتْ دَهْشَتُه ، دَهْشَةَ طِفْلٍ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ الْماءَ بِأَصابِعِ كَفِّه الْمَفتُوحَة .

حاوَلَ أَنْ يُخَفِّفَ مِنِ اضطِرابِه ، فَعَمَدَ إِلَى اللَّيْمُونَةِ الثَّانِيَةِ وَقطَعَها ، فَلاحَتْ لَهُ أَمامَ ناظِرَيْهِ فَتاةٌ أَجْمَلُ مِنَ الأُولَى ، فَحَدَّقَ الأَمِيرُ إِلَى ذٰلِكَ الْجَمالِ مَدْهُوشاً ، وَلٰكِنَّ الْفَتاةَ تَوارَتْ مِنْ أَمامِهِ فِى طَرْفَةِ عَيْن .

فَأَجْهَشَ الأَمِيرُ فِى هٰذِهِ الْمَرَّةِ بِالْبُكاء ، وانْسَكَبَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ انْسِكابَ ماءِ الْعَيْنِ الْجالِسِ فِى ظِلالِها ، وَأَخَذَ يَنْتَحِبُ وَيَشُدُّ شَعْرَه ، وَيَسْتَنْزِلُ عَلَى نَفْسِهِ جَمِيعَ لَعَناتِ السَّماءِ وَيَقُول :

— « يا لَحُمْقِى وَغَباوَتى ! كَيْفَ أَدَعُ الْفَتاتَيْنِ تَفِرَّانِ مِنِّى كَأَنَّ يَدَىَّ مَرْبُوطَتان ، وَلٰكِنْ لا بَأْس ، فَلَمْ يَضِعِ الأَمَلُ إِلَّا إِذا خانَتْنِى السِّكِّينُ الَّتِى أَعْطَتْنِى إِيَّاها الْجِنِّيَّة » .

قالَ هٰذا وَتناوَلَ السِّكّينَ ، وَقَطَعَ بِها اللَّيْمُونَةَ الثّالِثَة ، فَظَهَرَتْ مِنْها جِنِّيَّةٌ رائِعَةُ الْجَمال ، وَقالَتْ لَهُ ما قالَتْهُ زَمِيلَتاها :

« اِسْقِني ».

فَقَدَّمَ لَها الْماءَ عَلَى الْفَوْر ، فَشَرِبَتْ وَمَكَثَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ فِي فِتْنَةٍ وَدَلال ، وَمَكَثَ هُوَ يَنْظُرُ إِلَيْها مَفْتُونًا بِجَمالِها السّاحِرِ الْخَلّاب ، وَبِبَشَرَتِها الْبَيْضاء ، وَخَدَّيْها الْمُشْرِقَيْنِ بِلَوْنِ الْوَرْد ، وَشَعْرِها الذَّهَبِيّ ، وَعَيْنَيْها الزَّرْقاوَيْن ، وَشَفَتَيْها الْوَرْدِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ لا تُفْتَحانِ إِلّا لِمَعْسُولِ الْكَلام .

أَخَذَ الْأَمِيرُ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَى خَطِيبَتِهِ الْحَسْناء ، وَيَسْتَغْرِبُ كَيْفَ بَرَزَتْ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْخارِقَةُ مِنْ وَسْطِ لَيْمُونَة ، فَقالَ فِي نَفْسِه :

– « أَيَقْظانُ أَنا أَمْ نائِمٌ يَحْلُمُ جَمِيلَ الْأَحْلام ، فَإِنْ كُنْتُ


فايزه

هٰذا النَّائِم ، فَرَبَّاهُ رُحْماكَ لا تُوقِظْنِي » .

فابْتَسَمتْ لَهُ الْفَتَاةُ ابْتِسامَةً حُلْوَة ، فَهَدَأَ رَوْعُه ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ غَيْرُ حَالِم ، وَلا سِيَّما حِينَ طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبا إِلَى أَبِيهِ الْمَلِك ، لِيُبارِكَ وَلَدَيْه ، فَقَالَ لَهَا الأَمِير :

— « يَا عَزِيزَتِي ! أَنا مِثْلُكِ فِي شَوْقٍ إِلَى رُؤْيَةِ أَبِي ، وَلٰكِنَّنَا لا نَسْتَطِيعُ دُخُولَ الْقَصر ، فِي زِيِّ مَخْلُوقَيْنِ عادِيَّيْن ، كَأَنَّهُما رَاجِعَانِ مِنَ الْحَقْل ، فَيَجِبُ أَنْ تَصِلِي إِلَى الْقَصْرِ وُصُولَ أَمِيرَةٍ مِنَ الأَمِيرَات ، وَيَجِبُ أَنْ تُسْتَقْبَلِي فِيهِ اسْتِقْبَالَ الْمَلِكَات ، فانْتَظِرِي هُنا أَعُدْ إِلَيْكِ بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ ساعَتَيْن ، بِثِيابٍ فاخِرَةٍ لائِقَة ، وَبِحاشِيَةٍ لَنْ تَنفَصِلَ عَنْكِ بَعْدَ الْيَوْم » .

وَقَبَّلَ يَدَها وَسَارَ فِي طَرِيقِ الْقَصْر .

بَقِيَتِ الْفَتاةُ وَحْدَها فاسْتَوْحَشَتْ وَخَافَت ، وَنَظَرَتْ حَوْلَها فَرَأَتْ بِقُرْبِ عَيْنِ الْماء ، شَجَرَةَ سِنْدِيانٍ قَدِيمَة ، قَدْ حَفَرَ

الزَّمَانُ فِي وَسْطِها حُفْرَةً كانَتْ لَها مَلْجَأً صَعِدَتْ فِيه، واخْتَبَأَتْ وَلَمْ يَبْرُزْ مِنْ مَخْبَئِها إِلّا رَأْسُها الْجَمِيل ، يُحِيطُ بِهِ وَرَقُ الشَّجَرَة ، وَيَنْعَكِسُ نُورُ وَجْهِها عَلَى ماء النَّبْعِ الشَّفَّاف ، كَأَنَّهُ مِرْآةٌ صافِيَة .

وَكانَ فِي ضاحِيَةِ ذٰلِكَ الْمَكان ، جارِيَةٌ قَبِيحَةُ الْمَنْظَر ، تُرْسِلُها سَيِّدَتُها كُلَّ صَباحٍ إِلَى النَّبْع ، تَمْلَأُ مِنْهُ جَرَّةَ ماء ، فَجاءَت ، عَلَى عادَتِها ، تَحْمِلُ جَرَّتَهَا عَلَى كَتِفِهَا ، وَحِينَما بَدَأَتْ تَمْلَؤُها رَأَتْ صُورَةَ الْجِنِّيَّةِ فِي الْمَاء ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ وَجْهَها فِي الْمِرْآةِ قَطّ ، فَظَنَّتِ الْغَبِيَّةُ أَنَّ الصُّورَةَ صُورَتُها فَصاحَتْ تَقُول :

– « وَيْلِي ما أَشْقانِي ! أَأَكُونُ عَلَى مِثْلِ هٰذا الْجَمالِ والْإِشْراق ، وَتَبْعَثُنِي سَيِّدَتِي أَسْتَقِي لَها الْماء ، وَأَحْمِلُهُ إِلَيْها كَأَنَّنِي الْحِمارُ الْبَلِيد ؟ ! كَلاَّ إِنَّ هٰذا لَنْ يَكُون » .

وَعمدَتْ فِى سَوْرَةِ غضبِها إِلَى الْجَرَّةِ فكسرتْها ، وَعادَتْ إِلَى سَيِّدَتِها صفْرَ الْيدَيْن ، فاسْتاءَتْ هٰذهِ منْها ، وَأَشارَتْ إِلَى بِرْميلٍ صغِير ، وَأَمرَتْها أَنْ تَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْعَيْنِ وَتَمْلأَه » .

فَمَشَتِ الْجارِيَةُ إِلَى الْعَيْن ، وَلَمّا رأَتِ الصُّورَةَ الْجَمِيلَةَ تَتَراقَصُ عَلَى صَفْحَةِ الْماء ، تنهَّدَتْ وَقالَت :

– « لَسْتُ بِقِرْدٍ كَما يَقُولُونَ لِى دائِمًا ، فَإِنّى أَجْمَلُ مِنْ سَيِّدَتى ، وَلا يَحْمِلُ الْبِرْمِيلَ إِلّا الْحَمِير » .

فَأَلْقَتِ الْبرْمِيلَ عَنْ كَتِفِها ، وَحَطَّمَتْهُ إِلَى أَلْفِ قِطْعَة ، وَرَجَعَتْ إِلَى سَيِّدَتِها تَقُولُ لَها ، إِنَّ حِمارًا مُتَوَحِّشًا قَدِ اصْطَدَمَ بِها فَوَقَعَ الْبِرْمِيلُ وَتَحَطَّم ، فاسْتَشاطَتْ سَيِّدَتُها عِنْدَئِذٍ غَيْظًا ، وَأَهْوَتْ عَلَيْها تَضْرِبُها وَتَرَكُلُها ثُمَّ انْتَزَعَتْ قِرْبَةً كانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى الْحائِط ، وَقالَتْ لِجارِيَتِها :

– « خُذى هٰذِهِ الْقِرْبَة ، وَسارِعِى إِلَى الْعَيْن ، فَإِذا لَمْ تَعُودِى





بَعْدَ قَلِيل ، بِهٰذِهِ الْقِرْبَةِ مَمْلُوءَةً بِالْماء ، فَسَوْفَ أُلْقِي عَلَيْكِ دَرْسًا لَنْ تَنْسَيْهِ مَدَى حَيَاتِك » .

فاضطَّرَبَتِ الْجارِيَةُ وَخافَتْ لَمّا رَأَتْ سَيِّدَتَها يَتَطايَرُ الشَّرَرُ مِنْ عَيْنَيْها ، وَخَفَّتْ إِلَى الْعَيْنِ تَمْلأُ الْقِرْبَةَ مِنْها فامْتَلأَت ، وَلٰكِنْ تَذَكَّرَتْ هُنا سَيِّدَتَها وَقَسْوَتَها فَثارَتْ عَلَيْها وَقالَتْ مُغْضَبَة :

— « كَلاَّ ! ما أَنا بِحَمَّالَةِ ماء ، إِنِّى سَأَنْفُقُ مِثْلَما تَنْفُقُ الْكِلابُ فِى خِدْمَةِ سَيِّدَةٍ شَرِسَة ! »

فَسَحبَتْ مِنْ رَأْسِها دَبُّوسًا كَبِيرًا كانَ يُمْسِكُ شَعْرَها، فَثَقَبَتْ بِهِ الْقِرْبَةَ ثُقُوبًا كَثِيرَة، جاعِلَةً مِنْها رَشَّاشَةً يَتَدَفَّقُ مِنْها الْماءُ سُيُولاً مُتَعَدِّدَة .

وَسَرَّ الْفَتاةَ الْجِنِّيَّةَ الْمُخْتَبِئَةَ فِى الشَّجَرَةِ ذٰلِكَ الْمَنْظَر ، فَقَهْقَهَتْ ضاحِكَة ، فَرَفَعَت الْجارِيَةُ نَظَرَها إِلَى الشَّجَرَة ، وَوَقَعَ عَلَى الْفَتاةِ الْجَمِيلَة ، فَفَهِمَتْ كُلَّ شَىْء ، وَعَزَمَتْ فِى نَفْسِها أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ هٰذِهِ الْحَسْناءِ الَّتِى تَسَبَّبَتْ فِى ضَرْبِها ، غَيْرَ أَنَّها أَخْفَتْ عَزْمَهَا وَقالَتْ لِلْفَتاةِ بِصَوْتٍ حُلْوٍ ناعِم :

— « ماذا تَفْعَلِينَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ يا فَتاتى ؟ ! »

وَكانَتِ الْفَتاةُ رَقِيقَةَ الشُّعُور ، فَأَخَذَتْ تُجاذِبُ الْجارِيَةَ أَطْرافَ الْحَدِيث ، وَتُعَزِّيها عَمّا أَصابَها ، ثُمَّ حَدَّثَتْها عَنِ الأَمِيرِ

وَما جرَى لَها مَعَه ، وَكَيْفَ أَنَّهُ سيَأْتِى عمّا قَرِيب ، فِى مَوْكِبٍ حافِلٍ، لِيَصْحَبَ خَطِيبَتَهُ إِلَى الْمَلِكِ، وَيَتَزَوَّجَها فِى حَضْرَتِهِ وَحَضْرَةِ رِجَالاتِ الْبَلاط .



اِسْتَمَعَتِ الْجارِيَةُ لِلْفَتَاة ، وَأَلْهَمَها الْخُبْثُ والدَّهاءُ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ فَقالَتْ لَها :

— « يا ابْنَتِي ؛ إِنَّ خَطِيبَكِ قادِمٌ إِلَيْكِ فِى حاشِيَةٍ كَبِيرَة ،

فَيَجِبُ أَنْ تَتَجَمَّلِي قَبْلَ وُصُولِه ، فَدَعِينِي أَصْعَدْ إِلَيْكِ وَأُهَيِّئُ لَكِ شَعْرَكِ » .

فَقالَتْ لَها الْفَتاةُ وَهِيَ تَبْتَسِم :

— « أَقْبِلِي إِقْبالَ الرَّبِيع » .

وَمَدَّتْ لَها يَدَها فَتَشَبَّثَتْ بِها الْجارِيَة ، وَصارَتْ بَعْدَ لَحَظاتٍ إِلَى جانِبِ الْفَتاة ، فَما كادَتْ تَصِلُ إِلَيْها حَتَّى حَلَّتْ شَعْرَ الْفَتاة ، وَأَخَذَتْ تُجْرِي الْمُشْطَ فِيه ، ثُمَّ أَمْسَكَتْ فَجْأَةً بِدَبُّوسِها الْكَبِير ، وَغَرَزَتْهُ فِي رَأْسِ الْجِنِّيَّةِ اللَّطِيفَة ، فَلَمّا شَعَرَتْ هٰذِهِ بِأَلَمِ الْوَخْزَةِ صاحَتْ تَقُول :

— « يا لُمْبْ ! يا لُمْبْ ! »

وَعَلَى الْأَثَر ، تَحَوَّلَتْ إِلَى حَمامَةٍ انْطَلَقَتْ طائِرَةً فِي الْفَضاء ، فِي حِينَ جَلَسَتِ الْجارِيَةُ الشَّنْعاءُ فِي مَكانِ ضَحِيَّتِها .

وَكانَ الْأَمِيرُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَة ، راكِبًا ظَهْرَ جَوادٍ أَصِيلٍ

يُسابِقُ بِهِ الرِّيحَ إِلَى خَطِيبَتِهِ ، فَحِينَما بَلَغَ الْعَيْن ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الشَّجَرَة ، وَعَلِقَ بَصَرُهُ بِالْجَارِيَةِ قال : لَقَدْ تَرَكْتُ حَمامَةً وَدِيعَةً انْقَلَبَتْ إِلَى غُرابٍ شَنِيع ، فَكادَ يُصْعَقُ مِنْ هَوْلِ الْمُفاجَأَة ، وَحاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّم ، وَلٰكِنَّ الدُّمُوعَ خَنَقَتْهُ فَبَقِيَ صامِتاً يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحاءِ لَعَلَّهُ يَقَعُ عَلَى حَبِيبَتِهِ .

أَمَّا الْجارِيَةُ الشَّنْعاء ، فَتَظاهَرَتْ بِالْأَلَمِ وَالْعَذاب ، وَقالَتْ لَهُ وَعَيْناها مُغْمَضَتان :

— « لا تُطِلِ الْبَحْثَ يا أَمِيرِي ، فَإِنَّ جِنِّيَّةً شِرِّيرَةً جَعَلَتْ مِنِّي ضَحِيَّتَها ، وَحَوَّلَتْ جَمالَ خَطِيبَتِكَ إِلَى هٰذِهِ الْبَشاعَة » .

فَلَعَنَ الْأَمِيرُ الْجِنِّيَّاتِ الشِّرِّيرات ، وَلٰكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَه ، فَساعَدَ الْجارِيَةَ عَلَى النُّزُولِ مِنَ الشَّجَرَة ، وَزَفَراتُهُ تَكادُ تَقْتَلِعُ شَجَرَ الْغابَة ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَتِ الْحاشِيَة ، وَأَلْبَسُوا

الْجارِيَةَ مَلابِسَ الْأَمِيرات ، وَزَيَّنُوها بِالذَّهَبِ والْجَواهِرِ ، أَجْلَسَها الْأَمِيرُ إِلَى يَمِينِه ، فِي مَرْكَبَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْبِلَّوْر ، تَجُرُّها سِتَّةُ جِيادٍ بِيض ، وَسارَ الْمَوْكِبُ إِلَى الْقَصْر ، والْأَمِيرُ حَزِينُ النَّفْسِ حَتَّى الْمَوْت .

وَكانَ الْمَلِكُ يَنْتَظِرُ ابْنَهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْقَصْر ، مَشْغُوفًا بِأَنْ يَرَى تِلْكَ الدُّرَّةَ الثَّمِينَةَ الَّتِي وَصَفَها لَهُ ابْنُه ، فَلَمّا رَآهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ هُوَ وَعَرُوسُه ، ضَرَبَ بِالْمَراسِمِ الْمَلَكِيَّةِ عُرْضَ الْحائِط ، وابْتَعَدَ مِنْ رِجالاتِ الْبَلاطِ الَّذِينَ كانُوا مُحِيطِينَ بِه ، وَسارَعَ إِلَى لِقاءِ الْمَوْكِب ، مُشْتاقًا إِلَى أَنْ يُنْعِمَ النَّظَرَ بِجَمالِ عَرُوسِ ابْنِه ، فَخابَ ظَنُّه لَمّا رَأَى أَنَّ الْحَمامَةَ الْحَسْناءَ لَمْ تَكُنْ إِلّا بُومَةً قَبِيحَة ، فَصاحَ قائِلاً :

— « يا لَلدّاهِيَة ! نَعَمْ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ ابْنِي مَجْنُون ، وَلٰكِنَّهُ صَحِيحُ الْبَصَرِ غَيْرُ أَعْمَى ! فَهَلْ هٰذِهِ هِيَ الزَّنْبَقَةُ الَّتِي

ذَهَبَ يبْحَثُ عَنْهَا فِي أَقَاصِي الْبِلَاد ؟ وَهَلْ هٰذِهِ هِيَ الْوَرْدَةُ الَّتِي يفُوقُ جَمَالُهَا جَمالَ الْفَجْر ؟ وَهَلْ هٰذِهِ هِيَ رَبَّةُ الْحُسْنِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ لَيْمُونَة ؟ وَهَلْ يظُنُّونَ أَنِّي أَقْبَلُ هٰذِهِ الْإهَانَةَ الَّتِي يرْمُونَ بِهَا شَيْخُوخَتِي وَمَشِيبِي ؟ وَهَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنِّي أَتْرُكُ مَمْلَكَتِي الَّتِي وَرِثْتُهَا عَنْ أَجْدَادِي الْعِظَام ، إِلَى ابْنٍ أَحْمَقَ أَعْمَى جَاهِل ؟ إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ هَذِه الْقِرْدَةُ مَمْلَكَتِي ! »

فَارْتَمَى الْأَمِيرُ عِنْدَ قَدَمَيْ أَبِيهِ الْمِلك ، مُحَاوِلاً أَنْ يَثْنِيَهُ عَنْ رَفْضِه ، وَأَخَذَ رَئِيسُ الْوُزَرَاء ، وَكَانَ رَجُلًا حَكِيماً خَبِيرًا بِشُؤُونِ الْحَياةِ وَالنَّاس ، يَنْصَحُ الْمَلِكَ بِالْمُوافَقَةِ عَلى زَوَاجِ ابْنِه ، فَمَا بَيْن طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِها ، يُغَيِّرُ اللّٰهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَال ، وَينْقَلِبُ الْقُبْحُ جَمالاً ، فَأَذْعَنَ الْمَلِكُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ لِرَجَاء ابْنِهِ وَالْوَزِير ، وَوَافَقَ مُكْرَهًا مُتَضَايقًا

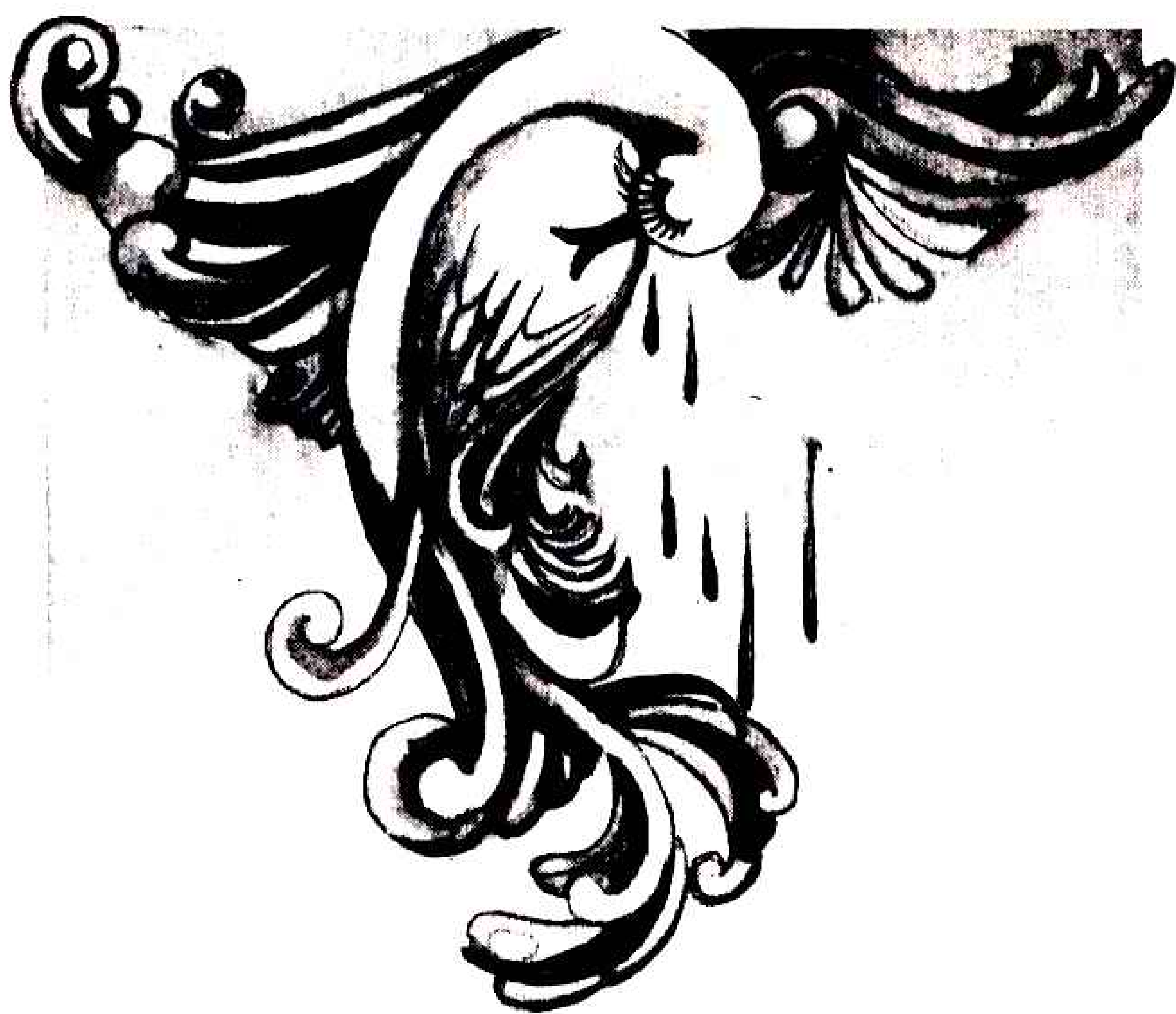


عَلَى هٰذَا الزَّوَاجِ الْغَرِيب ، وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ثَمانِيَةِ أَيَّام ، وَغَرَضُهُ أَنْ يَتَّسِعَ الْوَقْتُ لِإعْدَادِ مِهْرَجَانِ الْعُرْسِ الْعَظِيم .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْعَمَلُ قَائِماً عَلَى قَدَمٍ وَسَاق ، وَقَفَتْ ذَات صَبَاحٍ حَمَامَةٌ زَرْقَاءُ الجَنَاحَيْن ، عَلَى نَافِذَةٍ مِنْ نَوَافِذِ المَطْبَخ ، وَشَرَعَتْ تُغَنِّي بِصَوْت فِيهِ عُذُوبَة ، وَفِيهِ تَنَهُّدٌ وَشَكْوَى وَهِي تَقُول :

— « رُوكُو ، رُوكُو ، رُوكُو ، أَيُّها الطَّاهِي الْكَبِير ! حَدِّثْنِي عَنْ أَخْبَارِ الْجَارِيَةِ والْأَمِير ! »

ذَهِلَ رَئِيسُ الطُّهَاةِ لَمّا سَمِعَ حَمامَةً تَتَكَلَّم ، فَأَسْرَعَ يُخْبِرُ بِذٰلِكَ سَيِّدَتَهُ الْجَدِيدَة ، فَنَزَلَتْ مُسْرِعَةً إلَى الْمَطْبَخِ ، وَسَمِعَتْ غِنَاءَ الْحَمامَةِ وَأَقْوالَها ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُمْسَكَ وَتُذْبَح ، فَأَمْسَكَها رَئِيسُ الطُّهَاةِ فَلَمْ تُقَاوِمْهُ ، فَذَبَحَها وَرَمَى بِها فِي الْحَدِيقَة ، فَنَزَلَ مِنْها ثَلَاثُ نُقَطِ دَم ، اِنْبَثَقَتْ مِنَ الْأَرْضِ فِي



مَكانِها بعْدَ ثلاثَةِ أيَّام ، شَجَرَةُ لَيمُون ، ظَلَّتْ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ
إِلَى أَنِ امْتَلأَتْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْس بِزَهْرِ اللَّيْمُون .

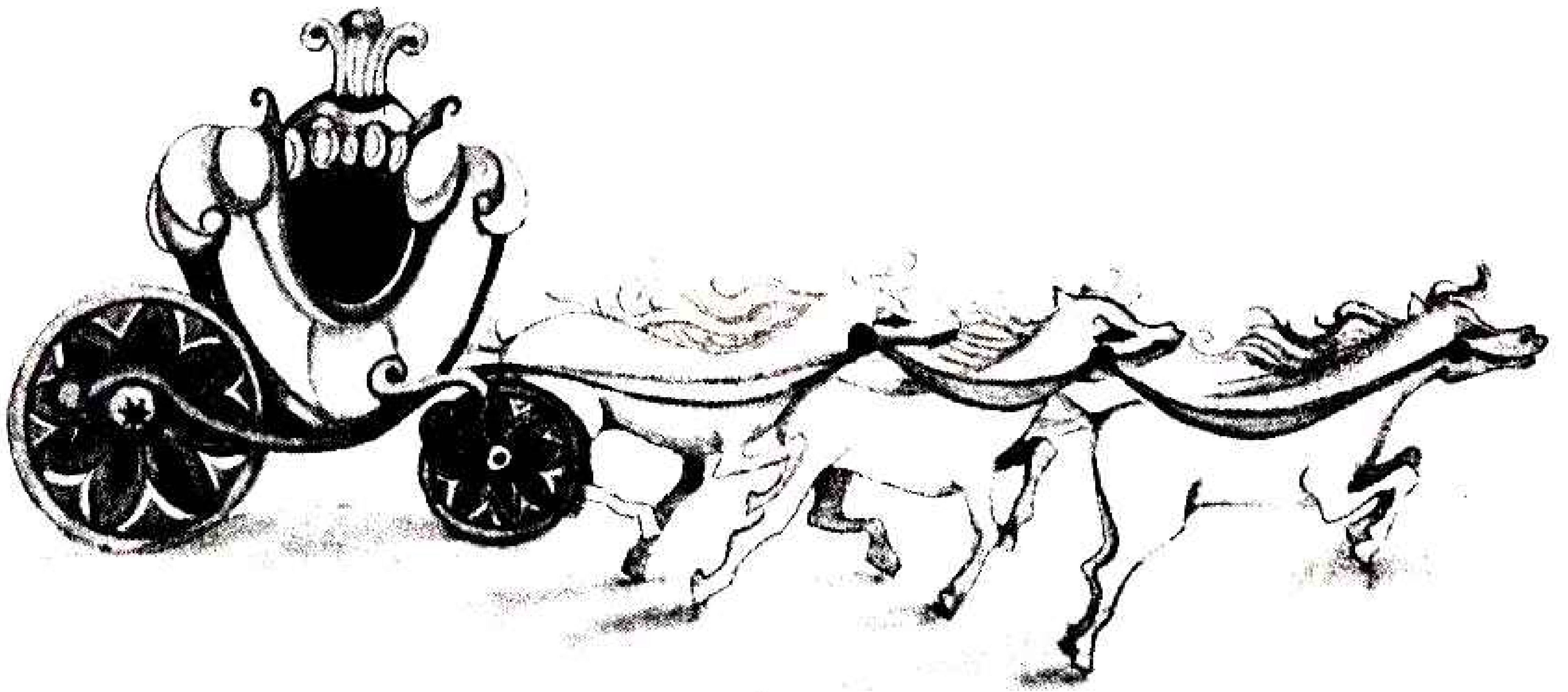
وَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ الأَمِيرُ فِي المَسَاء ، إِلَى الشُّرْفَةِ يَسْتَنْشِقُ النَّسِيم ، فَشاهَدَ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي لَمْ يَرَها قَطُّ مِنْ قَبْل ، فَأَرْسَلَ يَدْعُو رَئِيسَ الطُّهاةِ إِلَيْه ، فَلَمَّا عَلِمَ مِنْهُ حِكايَتَها ، أَصْدَرَ أَمْرًا يُحَرِّمُ الاقْتِرابَ مِنْ شَجَرَةِ اللَّيْمُونِ هٰذِه.

وفى صَباحِ الْيَوْمِ التّالى، جرَى الْأَمِيرُ إِلَى الْحَدِيقَة ، فوَجَدَ عَلَى الشَّجَرَةِ ثَلاثَ لَيْمُونات ، شَبِيهَةً بِتِلْكَ الَّتِي أَهْدَتْها لَهُ الْجِنِّيَّة ، فَقَطَفَ الْأَمِيرُ اللَّيْمُوناتِ الثَّلاث ، وَدَخَلَ مِخْدَعَهُ وَأَقْفَلَ الْبابَ عَلَيْه .

وَبِيَدٍ مُضْطَرِبَة ، تَناوَلَ كَأْسًا مِنَ الذَّهَب ، مُرَصَّعًا بِالْحِجارَةِ الْكَرِيمَةِ وَمَلَأَهُ ماء ، وَأَخْرَجَ السِّكّينَ الَّتِي ما كانَتْ تُفارِقُه ، وَقَطَعَ بِها إِحْدَى اللَّيْمُونات ، فَبَرَزَتْ مِنْها الْفَتاةُ الْجِنِّيَّةُ الْأُولَى ، فَكادَ الْأَمِيرُ لا يَنْظُرُ إِلَيْها وَتَرَكَها تَطِير ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ بِفَتاةِ اللَّيْمُونَةِ الثّانِيَة ، وَلٰكِنْ ما هُوَ أَنْ تَبْرُزَ الْفَتاةُ الثّالِثَة ، حَتَّى قَدَّمَ لَها كَأْسَ الْماء ، فَشَرِبَتْ مُبْتَسِمَة ، وَكانَت مِثْلَما عَرَفَها حُسْنًا وَرَوْعَةَ جَمال .

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْفَتاةُ ما فَعَلَتْهُ بِها الْجارِيَةُ الشَّنْعاء ، وَما تَحَمَّلَتْهُ بِسَبَبِها مِنْ عَذاب ، فَغَضِبَ وَثار ، وَبَكَى وابْتَسَم ،

وَمَلأَ الْقَصْرَ صُراخًا وَهُوَ فَرِحٌ غَضْبان ، فَهرِعَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ مَدْهُوشًا ، فَلَمّا رَأَى الْفَتَاةَ الْحَسْناء ، كادَ يَفْقِدُ رُشْدَه ، وَأَخَذَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّي طَرَبًا وَسُرُورًا ، ثُمَّ وَقَفَ فَجْأَة ، وَقَطَّبَ حاجِبَيْه ، وَتِلْكَ عادَتُهُ عِنْدَما يَسْتَسْلِمُ إِلَى التَّفْكِير ، وَأَلْقَى عَلَى عَرُوسِ ابْنِهِ غِلَالَة ، سَتَرَتْهَا إِلَى الْقَدَمَيْن ، وَأَمْسَكَهَا مِنْ يَدِهَا ، وَسَارَ بِهَا إِلَى قَاعَةِ الطَّعَام ، وَكَانَت غَاصَّةً بِالأَعْيَانِ وَرِجَالاَتِ



الْبَلَاطِ وَالْوُزَرَاء ، يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ الْمَلِكِ لِيَتَنَاوَلُوا مَعَهُ طَعَامَ الإِفْطَار ، فَدَعَا الْمَلِكُ كُلاًّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ عَلَى التَّوَالِى ، فَلَا يَكَادُ الْقَادِمُ يَصِلُ إِلَى حَيْثُ تَقِفُ الْفَتَاة ، حَتَّى يُزِيحَ الْمَلِكُ الْغِلَالَةَ عَنْهَا وَيَسْأَلَ الْقَادِمِ :

– « مَنْ أَرَادَ طَمْسَ هٰذِهِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَة ، فَأَىُّ قِصَاصٍ يَسْتَحِقّ ؟ »

فَكَانَ كُلٌّ يُجِيبُ وَفْقَ هَوَاه ، فَلَمَّا جَاءَتْ نَوْبَةُ الْجَارِيَةِ الشَّنْعَاء ، اقْتَرَبَتْ مِنَ الْفَتَاةِ بِغَيْرِ حِرْصٍ وَلاَ حَذَر ، وَلَمْ تَعْرِفْهَا ، فَقَالَتْ تُخَاطِبُ الْمَلِك :

– « مَوْلاى ! إِنَّ الْوَحْشَ الَّذِى عَذَّبَ هٰذِهِ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَة ، يَسْتَحِقُّ وَلا شَكَّ أَنْ يُحْرَقَ حَيًّا ، فِى فُرْنٍ مِن الأَفْرَان ، وَأَنْ يُذْرَى رَمَادُهُ فِى كُلِّ رِيح » .

فَصَاحَ الْمَلِك :

— « إِنَّكِ حَكَمْتِ عَلَى نَفْسِكِ بِنَفْسِك ، فَانْظُرِى أَيَّتُهَا الْمَلْعُونَةُ إِلَى ضَحِيَّتِك ، واعْرِفِيهَا وَاسْتَعِدِّى لِلْمَوْت ! »

فَخَطَتِ الْفَتَاةُ الطَّيِّبَةُ إِلَى الْمَلِكِ خُطْوَتَيْن ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ وَقَالَتْ :

— « مَوْلاى ! هَلْ لِى أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ هَدِيَّةً مِنْ هَدايا عُرْسِى ؟ »

فَقالَ الْمَلِكُ الشَّيْخ :

— « اُطْلُبِي ما شِئْتِ أَمْنَحْكِ إِيَّاهُ رَاضِياً مَسْرُورًا ، وَلَوْ كانَ تاجَ مُلْكِى » .

فَقالَت :

— « اِمْنَحْنِي الْعَفْوَ عَنْ هٰذِهِ الْمِسْكِينَة ، فالشَّقاءُ والْجَهْلُ عَلَّماها الْحَسَدَ والْحِقْدَ عَلَى النَّاس ، فاتْرُكْنِي أَجْعَلْها سَعِيدَة ، وَأُعَلِّمْها أَنَّ الْحُبَّ مَجْلَبَةٌ لِلسَّعادَةِ فِى هٰذِهِ الدُّنْيا » .

فَقالَ الْمَلِك :

– «حَقًّا إنَّكِ يا ابْنَتِي لَجِنِّيَّةٌ طَيِّبَةُ الْقَلْب، لا تَدْرِي شَيْئًا عَنْ عَدالَةِ الْبَشَر ؛ وَكَيْفَما كانَ الْأَمْر، فَقَدْ وَعَدْتُكِ أَنْ أَمْنَحَكِ ما تَطْلُبِين ، فَخُذِي هٰذِهِ الْحَيَّةَ الرَّقْطاء ، وَرَوِّضِيها ما شِئْت، وَلٰكِنِ احْذَرِيها كُلَّ الْحَذَر ».

فَأَقْبَلَتِ الْفَتاةُ عَلَى الْجارِيَةِ الشِّرِّيرَةِ فَأَنْهَضَتْها ، وَقَبَّلَتْ هٰذِهِ يَدَيْها وَهِيَ تَبْكِي، ثُمَّ جَلَسَ الْقَوْمُ إِلَى الْمائِدَة ، يَتَناوَلُونَ طَعامَ الْإِفْطار ، وَكانَ الْمَلِكُ فَرِحًا مُغْتَبِطًا ، فَأَكَلَ أَكْلَ أَرْبَعَةِ رِجال .



أَمَّا الْأَمِير، وَكانَ لا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى خَطِيبَتِه ، فَقَدْ جُرِحَ



إصْبَعَهُ غَيْرَ مرَّة ، وَكانَ مَعَ ذٰلِكَ مَرِحًا كُلَّ الْمَرَح ، فالْقَلْبُ الرَّاضِي يَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَياةِ جَمِيلا .

وَلَمَّا ماتَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مُثْقَلًا بِالسِّنِينَ والْمَجْد ، خَلَفَهُ الْأَمِيرُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى الْعَرْش ، وَكانا رَحِيمَيْنِ عادِلَيْنِ ، وَحَكَما نَحْوَ نِصْفِ قَرْن ، لَمْ يَذْرِفِ الشَّعْبُ فِيهِ دَمْعَةً واحِدَة ، وَلا سالَتْ مِنْهُ نُقْطَةُ دَم ، وَما زالَتِ الْأَجْيالُ الَّتِي تَتابَعَتْ مِنْ هٰذا الشَّعْب ، تَذْكُرُ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ ذٰلِكَ الْعَهْدَ الْجَمِيلَ السَّعِيد ...

أَسئلة فى القصة

١ ـ ماذا كان الملك يتمنى وما كانت أَحلامه ؟

٢ ـ ما الذى جعل ابن الملك يغير تفكيره فى الزواج ؟

٣ ـ ماذا قال له أَبوه عندما علم برغبته فى السفر ؟

٤ ـ ما الفرق بين بكاء الأَطفال وبكاء الرجال ؟

٥ ـ بأَى بلاد مرّ الأَمير فى طريقه إِلى الشرق الأَقصى ؟

٦ ـ من لمح الأَمير عندما كان يتمشى على الشاطئ ؟

٧ ـ أَى شىء رأَى الأَمير فى الكوخ الذى عثر عليه ؟

٨ ـ إِلى ماذا كانت ترمز الجنيات الثلاث ؟

٩ ـ ماذا أَعطت أَصغر الجنيات الأَمير وبماذا أَوصته ؟

١٠ ـ هل عمل الأَمير بنصيحة الجنية الصغيرة ؟

١١ ـ ماذا قال الأَمير لخطيبته قبل أَن يصحبها إِلى قصر أَبيه ؟

١٢ ـ ماذا حدث للخطيبة بعد ابتعاد خطيبها منها ؟

١٣ ـ كيف أَدركت الجارية الشريرة أَن هناك أَحدًا ينظر إِليها ؟

١٤ ـ أَفرح الملك عندما استقبل ابنه وخطيبته أَم حزن ؟ ولماذا ؟

١٥ ـ كيف كشف أَمر الجارية الشريرة ؟

١٦ ـ لو أَردنا أَن نرمز إِلى الخير والشر فبمن نرمز إِليه من أَشخاص هذه القصة ؟

١٧ ـ اكتب القصة بأُسلوبك وإِنشائك.